ثالثاً: أثر الحضارة الإسلامية في الحياة الثقافية:

اهتم الإسلام بالعلم وحث على طلبه وكرم أهله، ومما ساعد العلماء العرب على التفوق العلمي ستة عوامل:

١ ـ حث الدين الإسلامي على طلب العلم كما جاء في القرآن والسنة.

٢ ـ حرية الرأي العلمي فلم يتعرض عالم لمحنة بسبب رأيه العلمي .

٣ ـ رعاية الخلفاء والحكام والولاة للعلم وإنفاقهم بسخاء في هذا المجال.

٤ ـ استعلاء العلماء كلهم وزهدهم عن الترف والسلطان.

٥ ـ الاستعداد الذهني مع الصبر والمثابرة حتى أن أعمال العالم منهم يعد بالعشرات والمئات في معظم الأحيان.

٦ ـ الظروف المهيأة لسطوع الحضارة العلمية في العصر الإسلامي حيث أتاحت للأمة العربية الإسلامية أن تقدم نهضة الحضارة الأوربية.

ومهما يكن من أمر فقد كان للعربي عقيدة وفلسفة، وكان للعرب نظام حكم أشاع روح العدل والانصاف والتسامح فتعايش الناس من ذوي العقائد المختلفة والأجناس يسودهم الأمن والسلام فتجاور المسجد والكنيسة في كل قطر بل في كل مدينة، وظل هذا الوضع زمناً طويلا بسبب روح الإخاء والتسامح التي سادت بين الجميع. فقد تربى المسلمون على هذا التعايش والامتزاج. وفتحوا صدورهم للنصارى واليهود الذين درسوا في الجامعات الإسلامية، وحملوا كل آثار العرب وعلومهم إلى أوربا.

ومن أهم مظاهر الحياة الثقافية في العالم الإسلامي[١]:

١ ـ كانت المساجد مكاناً للعلم ثم شهدت قصور الخلفاء والأمراء ومنازل العلماء والمكتبات حلقات العلم والتدريس.

٢ ـ كانت الصالونات الأدبية والعلمية مكانا لاستقبال الراغبين في العلم، وهي تشبه الجلسات العلمية. وقد ازدهرت المجالس العلمية في شتى العصور.

٣ ـ خصص الخلفاء قصورهم أماكن للعلم ورعوا العلم، وأقاموا الدور والمساكن والمقاصير للتدريس وإقامة الحلقات العلمية والمناظرات.

٤ ـ يعتبر عصر المأمون من أزهى عصور الدولة العباسية في تاريخ النهضة العلمية بالعالم الإسلامي؛ إذ كان الخليفة نفسه عالماً من أساطين العلم والعلماء. واختار أصحابه ورجال الدولة من الصفوة الأفذاذ في الشرق والغرب.

٥ ـ انتقلت مجالس العلم وصالونات الأدب والاجتماعات العلمية من قصور الخلفاء والمساجد إلى المدارس، فقد ازداد الإقبال على هذه الحلقات، مما تعذر عقدها في المساجد والأماكن الأخرى.

٦ ـ انشئت المدارس في بادئ الأمر لتعليم العلوم الدينية ، ثم عرفت العلوم الدنيوية كالطب وغيره. وكان بالمدرسة صالة كبيرة وقاعة محاضرات، ومساكن للأساتذة والطلاب، وتلحق بها المرافق

(١) د/ حسن الباشا، المرجع السابق، ص ٩٦ ـ ٩٩ .

العامة. ومن أهم المدارس المدرسة النظامية، نسبة إلى نظام الملك في العراق وغيرها من المدن الأخرى.

٧ ـ اهتم المسلمون بإنشاء المكتبات العامة ومن أهمها بيت الحكمة في بغداد، ودار الحكمة في القاهرة. وكانت هذه المكتبات تؤدي ما تؤديه معاهد العلم والجامعات والجمعيات العلمية في الوقت الحاضر(١).

٨ ـ اهتم الخلفاء المسلمون بإرسال البعثات العلمية منذ صدر الإسلام، حين تفوق علماء الصحابة في الأقطار، وأقام كل منهم مركزاً علمياً في البلد الذي حل فيه، فحلقة في اليمن، وثانية في الكوفة، وثالثة في مصر، ورابعة في البصرة وخامسة في المدينة وهكذا، وأصبح لكل مدرسة طابعها المميز. فكان الناس يستمعون إلى حلقات هؤلاء الأساتذة للانتفاع بعلمهم.

٩ ـ وإلى جانب دور المكتبات انتشرت محال الوراقة كمراكز للعلم والثقافة؛ إذ كانت تعمل في نسخ الكتب وتجويد الخط، بالإضافة إلى أهميتها كمراكز أدبية، وكان في بغداد في عام ٢٧٨هـ / ٨٩١م أكثر من مائة من محال الوراقة.

١٠ ـ كان للأجناس المختلفة في الدولة الإسلامية دورها في الحركة الثقافية، وظهر فضل العرب بشكل واضح في الشعر، وظلت

(١) د/ عبد الحليم منتصر، المرجع السابق، ص ٤٩ ـ ٦٢.

الثقافة افي العالم الإسلامي ذات طابع عربي وذات صلة وثيقة بالحياة والتقاليد العربية. وكان الفرس من العناصر البارزة في الحركة الثقافية، كما كان لأهل الذمة من النصارى واليهود والصابئة دورهم في حركة الترجمة التي كان لها أثرها في تطوير الثقافة الإسلامية(١).

١١ـ اهتم المسلمون بترجمة الكتب الفارسية والسريانية واليونانية إلى اللغة العربية، وكان من أوائل المترجمين أبو يحيى البطريق الذي ترجم عن اليونانية، وحنين بن اسحق شيخ المترجمين وهو من نساطرة العرب، وأعلم أهل عصره في الطب. ومنهم أيضاً يوحنا بن ماسويه وهو معلم حنين بن اسحق، ثم جرت بعد ذلك حركة الترجة من العربية إلى اللاتينية وغيرها من اللغات الأوربية، وكان لهذه الحركة أكبر الأثر في بعث روح النهضة في أوربا.

١٢ ـ صار للمدرسين دور سياسي إلى جانب وظيفتهم التعليمية، فلم يقتصر المدرسون على أن يكونوا مجرد معلمين فحسب، بل صارت لهم أهميتهم في مجال السياسة الداخلية والخارجية، كما كان يختار منهم رجال الدولة والإدارة كالولاة وأصحاب الشرطة والوزراء والسفراء وغيرهم، كما كانوا بمثابة مستشارين للولاة والأمراء. وازداد نفوذ المدرسين بفضل سلطانهم الأدبي والروحي، فعظمت منزلتهم بين الناس، ومن ثم استطاعوا أن يوجهوا الرأي

(١) د/ حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ٣ ، ص ١٠٥٣ .

العام، فعنوا بتأسيس المدارس وتقريب المدرسين حتى يضمنوا كسب الرأي العام واستقرار الأمور، وانتصار المذهب السني وبالتالي سلطانهم السياسي(١).

١٣ ـ أسس السلطان ـ نظام الملك ـ سلطان الدولة السلجوقية مدارس في أنحاء الدولة في بغداد والبصرة وأصفهان والموصل وغيرها، وكانت هذه المدراس تسمى بالنظامية نسبة إليه. وانتشرت المدارس في خراسان والعراق وآسيا الصغرى على نمط المدرسة النظامية. وتولى نور الدين محمود إنشاء المدارس في الشام والجزيرة؛ فأسس المدرسة النورية في دمشق وتأسست مدارس أخرى في حلب وحماة وبعلبك وحمص، والبصرة وكان يفد إليها العلماء من بغداد ونيسابور وقرطبة وغرناطة ومراكش.

وفي عصر الفاطميين أسس صلاح الدين المدرسة الناصرية (الشريفية) ثم توسع صلاح الدين في إنشاء المدارس فأنشأ المدرسة الصلاحية ومدارس أخرى في مصر، وأسس في سوريا مدارس كثيرة.

غير أن حركة بناء المدارس قد استمرت حتى أواخر الخلافة العباسية. وأشهر هذه المدارس المدرسة المستنصرية التي أنشئت في بغداد لتدريس المذاهب الأربعة. وهي أول مدرسة جمعت فيها المذاهب الأربعة وكان بها الجامع.

ثم ازدهرت المدارس في عصر المماليك ومن بعدهم العثمانيون.

---

(١) نفس المرجع ، ص ١٠٥٤ ـ ١٠٥٥